انما هي سوء تفاهم . وما العقل الذي دعا اليه سقراط وحياة التقشف والرزانة ومحاربة الغرائز الا مرض جديد لا (عودة الى الفضيلة والسعادة) كما يُظن . فان اضطرار الانسان الى محاربة غرائزه انما هو اضطرار الى الانحطاط والشقاء لان (الغريزة والسعادة) صنوان لا يفترقان ''

هذا ملخص ما كتبه نييتش عن سقراط وغرضه اقامة مبادئ ادبية جديدة غير المبادئ الادبية الحاضرة التي ينتهي اساسها الى سقراط وافلاطون . وسنأتي تباعاً على تتمة مبادئه فتظهر فيها آراؤه ظهوراً جلياً

كلام ابن الشرق في الغرب

وهو كلام من سمع ورأى

سلسلة مقالات « لصاحب الجامعة » يدرس فيها شؤون المدنية الاميركية

﴿ مقدمة ﴾ ان الحكم في المدنيّة الاميركية وآثارها يتوقف على طبيعة الناظر فيها . فاذا كان هذا الناظر ممن ولدوا في اميركا او ممن لم يروا مدنيّة اخرى غيرها اعتقد ان اميركا امُّ الدنيا في كل شيء وكل ما عداها لا شيء . واذا كان قد عاش في وسط مدنية راقية اخرى كالمدنية الاوروبية فيكون رأيه في المدنية الاميركية تابعاً لطبيعته ومذهبه في الامور . فاذا كان ممن نشأوا على المبادئ الايديالستية و يفضلون (آثار العقل والنفس) على (آثار المادة) قال ان الاميركيين قوم حديثو النعمة كبيرو الدعوى مع انهم لا يزالون اطفالاً في

المدنية الحقيقية . واذا كان ممن نشأوا على المبادئ الاوتيليتر (النفعيين) و يفضلون (آثار المادة) على (آثار العقل والنفس) قال ان المدنية الاميركية تقدّمت المدنية الاوروبية بمراحل . ويظهر هذا الخلاف في الحكم في رأي كل جماعة تسألهم عن اثر المدنية الاميركية في نفوسهم وآراء جميع الكتّاب والسياح الذين يزورون اميركا . ففي الاسبوع الذي صرفناه في البحر بين الهافر ونيو يورك طالعنا اربعة كتب لاربعة من مجيدي الكتّاب الفرنسويين زاروا اميركا منذ بضع سنين ورأينا أثر هذا الاختلاف في آرائهم قبل ان وضعنا قدمنا في القارة الاميركية . فأحدهم يقول في مقدّمة كتابه ما خلاصته (انني بعد ان عبرت البحر قادماً من بلاد الحركة والنشاط (اميركا) ووطئت قدماي ارض باريز ورأيت الناس فيها يخطرون في الشوارع بهدوء والمركبات تسير الهوينا تحمل اهل الترف والبطالة والناس يمشون الى اشغالهم مشية من لا شغل له وقابلت كل ذلك بحالة الامة الاميركية النشيطة ظننت نفسي وانا في باريز في سلطنة بزنطية في ابان شيخوختها وضعفها) وهو منتهى الثناء على اميركا . والآخر يقول (انّ الارتقاء الاميركي انما هو ارتقاء ظاهري . وهو نتيجة مبالغتهم في إعلان قوتهم وآثارهم . فانهم اذا راموا مثلاً جعل احد الجبال مصيفاً ملأوا الدنيا صراخاً في اعلاناتهم ان ذلك الجبل اجود جبال الدنيا هواء واعجبها مناظر و يتفننون في اعلان ذلك تفنناً يجتذب الناس اليه . وهكذا في كل امورهم . والجرائد الاوروبية تجاريهم فتتناقل اخبارهم وتعجب بها . واذا قدمت فتاة اميركية الى باريز مثلاً وزارت متاحفها وقابلت ادباءها واهل الخبرة والعلم فيها حادثت كل واحد منهم في فنه وادبه حديث مطلع عليه فتدهشنا بجرأتها وواسع اطلاعها مع ان ما فعلته سهل لكل فتى وفتاة وهي انها راجعت قبل زيارتها في دائرة المعارف او الكتب المخصوصة التي تطلبها ما تريد معرفته لتظهر لمحدثها انها على علم بصناعته وفنه . وانما كل ذلك

من قبيل البلف (Bluff) (١) ونتيجة (الاعلانات) ليس الا)

ومما قاله هذا المؤلف ايضاً ، ان السبب في شهرة اميركا في خارج اميركا ان الكتّاب الذين كتبوا عنها انما كتبوا وهم تحت تأثير اصدقائهم ومستقبليهم من الاميركان . فان الكاتب الاوروبي المشهور لا يُعلن خبر قدومه الى نيو يورك حتى يُسرع الى استقباله كتاب الاميركان وادباؤهم وسيداتهم فيحيطون به و يطوفون به في المجالس الخصوصية والعمومية ولا يُرونه من اميركا الا جوانبها اللامعة . وفضلاً عن ذلك فانه اذا عاد الى وطنه وكتب كتابه اجتنب فيه كل مايسوء اصدقاءه الاميركيين فلا يذكر عن اميركا ما يسوء . وهذا سبب شهرة اميركا في العظمة والكرامة

قلنا واذا شئت الآن الحكم بين الآراء التي تقدم بسطها لزمك ان تعود الى التفرقة والقسمة التي اشرنا اليها في مقدمة الكلام . فترى ان كل قائل منهما انما قال بحسب طبيعته وفطرته والآراء التي نشأ عليها . ولكم كان هذا الامر سبب الخلاف والنزاع بين البشر وهم لا يدرون

على ان الناظر الى المدنية الاميركية نظراً عادلاً مجرداً يلزمه ان يتجرد برهة عن كل عاطفة مطبوعة او مصنوعة و يحكم عليها بحسب (العقل المجرد) . فيرى حينئذ ان قياس اوروبا على اميركا او اميركا على اوروبا انما هو قياس مع الفارق . وبعبارة اخرى انه يلزم الناظر فيها ان يكون كما قال رنان — ذا قوة خصوصية تُدعى قوة التمييز والاستنتاج . فبقوة التمييز يُدرك حقيقة (القوة والجمال) في الشيء المنظور و يغوص فيه حتى الى اعمق اعماقه للقبض عليه .

---

(١) درجت لفظة (بلف) في جميع اللغات الاوروبية والاميركية ودخلت في اللغة العربية العامية في سوريا ومصر . ومعناها في الاصطلاح ايهام الخصم خصمه بامر ليس فيه توصلاً الى ذلك الامر او الى فائدة اخرى

وبقوة الاستنتاج يدرك درجته ومنزلته في منازل الرقى الحقيقي والمدنية الحقيقية. ولكن اذا لم يكن للناظر هاتان القوتان فانه يخبط خبط عشواء في آثار المدنيات والمبادئ في الارض فكثيراً ما عدّ الجمال دمامة والدمامة جمالاً والعلم جهلاً والجهل علماً والتأخر تقدماً والتقدم تأخراً وهلم جراً

فالحكم على المدنية الاميركية يقتضي هذا التجرد وهاتين القوتين. وكل قياس غير مقرون بهما قياس فاسد اذ للجمال ضروب شتى لا ضرب واحد في الارض فلا يصحّ القياس على ضرب واحد

مثال ذلك . اوقف اميركياً في مصر القاهرة امام جامع السلطان حسن الذي هو فخر الصناعة العربية القديمة واثرها الخالد او امام كنيسة نوتردام في باريز التي هي تحفة الصناعة المسيحية في العصور المتوسطة فانه قلما يدرك ما فيها من اسرار الجمال والكمال وحلاوة الفن البالغ مبلغ الاتقان . وقلما تنفتح مغالق نفسه وينشرح صدره لدى تلك التحف التي يخيل للناظر اليها انها مصنوعة بيد الآلهة لا بيد الانسان . وذلك ليس لان الجمال كما قال ابن سينا هو (في عين الرائي) بل لان للجمال ضروباً شتى كما تقدم و (عين الرائي) هنا لم تألف هذا الضرب من الجمال لتدركه . ولكن اوقف نفس ذلك الرائي في سفينة في نهر هدسن في ميناء نيويورك في الساعة السابعة مساءً وقد أوقدت المصابيح الكهربائية في البنايات الشاهقة التي تبلغ طبقاتها ٢٠ او ٣٠ او ٤٠ طبقة واجعله يستقبل تلك الابراج الضاربة صعداً في الفضاء كأنها شقائق برج بابل تَرَهُ حينئذ يعض باسنانه على سيكاره ويتبسم عن شاربين حليقين ويشمخ بانفه ويدس يديه في جيبي (بنطلونه) ويقول خاطراً الى امام والى وراء . يس يس هذا هو الجميل العظيم المفيد لا جامع حسن ولا نوتردام

ذلك لانه من الصعب على اكثر الاميركيين ان يدركوا اهمية الفنون وجمالها

ان لم تكن مقرونة بمنافع تتخذ لها . فطلب الفن (لذاته) أمر قلما يعرفونه عندهم وانما يطلبون الفنّ لفائدته العملية ومنفعته . سلْ الطلبة الفرنسويين مثلاً عن جمال فنون آثينا وروميه ومذاهب الادب الكتابي والفلسفة القديمة والحديثة بل اذكر لهم مثلاً اسم (Venus de Milo) تَرَهم يندفعون في وصفها وذكر تاريخها اندفاع السيل . اما الطلبة الاميركيون فعقولهم في افق غير هذا الافق . فهم يعرفون اسماء شركات الاحتكار الكبرى وماذا فعلته وتنوي الحكومة فعله فيها وما هي البلدان الصناعية والزراعية في اميركا وكيف يتنازع الحزب الديموقراطي والحزب الجمهوري في التعريفة الجمركية والعملة الفضية ومسائل العمل والعملة والاستعمار والبنوك الخ . وبناءً على ذلك كانت الفنون التي يشتغل بها الاميركيون خادمة لمعائشهم لا مستقلة عنها . فهي تُقرن بالتجارة والصناعة لا لترقيتها نفسها (نعني الفنون) بل لترقية التجارة والصناعة

كنا بالامس نقلب كتيّباً صغيراً نشره معمل كبير للاحذية في نيويورك غرضه اعلان جودة صناعته وترويج تجارته . فرأينا في هذا الكتيب بين اعلانات المعمل فوائد كثيرة بشأن اميركا واحوالها ملؤها اللذة والفكاهة . ومن جملة ما رأيناه جدولاً كبيراً يتضمن بيان تعداد جميع امم الارض من اكبرها الى اصغرها مقروناً باسماء ملوكها وعواصمها . وفيما نحن نتصفح هذا الجدول وجدنا ان فيه عدد سكان مصر (ستة ملايين) مع ان الاحصاء الاخير الذي جرى في مصر في العام الماضي دلّ على ان عدد سكانها اكثر من ١١ مليوناً . فهذا الكتيب مملوء بالفوائد ولكنه مملوء ايضاً بالاغلاط اذ ليس من غرض ناشره تحقيق مواده بل نشر اخبار بضاعته . فليس يهمه ان تكون الاحصاءات المذكورة فيه احصاءات قديمة قد مرّ عليها ٢٠ سنة ولا وقت عنده لتحقيق ذلك وانما الذي يهمه ان يقرن (احذيته) بالعلم والادب ويدفعها بهما بين ايدي الناس . هذا

مثال لطريقة بعضهم في العلوم والفنون في اميركا

وربما أنحى بعضهم باللائمة على هذه الطريقة وقال انها تحط من كرامة العلم والفنون وتؤدي الى إفسادهما وهذا اعتراض وجيه وقول صحيح . ولكن لهذه الطريقة فائدة كبرى ومن يدري ان العلم والفنون في اميركا لا تترقى بها في مستقبل الزمان

ومعنى قولنا هذا ان الاميركيين قد ابتدعوا بدعة جديدة بما فعلوه من قرن الفنون والعلم بالتجارة والصناعة . فان الفنون في اوروبا انما توجد في المتاحف والمدارس وتُحصر فيها . واما الاميركيون فانهم أخرجوها منها وادخلوها في أعماق حياة الامة فاصبحت جزءًا منها . وسنُظهر في مقالة تالية كيف رقّت التجارة والصناعة الفنون في اميركا وكيف رقت الفنون التجارة والصناعة فيها

مطالب السوريين من السفارة

والجرائد الاميركية في اربعة اقطار اميركا

بعد ان كانت حركة المطالب بين السوريين اصبحت بين الاميركيين في الاسبوع الذي قدمت فيه الى عطوفة السفير العثماني «١»

﴿الجامعة﴾ قبل نشر مقالة الصديق شبل افندي يسرنا ان نشير الى الحركة التي اثارتها ﴿المطالب من السفارة﴾ لدى الاميركيين وجرائدهم بعد ان انتهت مسألتها لدى المهاجرين السوريين . ونغتنم هذه الفرصة لاسداء خالص الشكر الى الجرائد الاميركية الكريمة اللواتي تفضّلن بتلخيصها ونشرها تأييداً للنزالة السورية التي هي من اكثر النزالات فائدة ونشاطاً في البلاد الاميركية ومن اكثرهن عدداً . وتهديهن الجامعة

«١» لما كنا قد نشرنا هذه المطالب في صدر الجزء السابق لتبقى محفوظة في المجلة على ممر السنين فقد رأينا واجباً ان نردفها بالمقالة التالية التي نُشرت بشأنها في الجريدة